واتباعهِ النصيب الاكبر من ذلك لعلمهِ بمنزلة جعفر في نفوس الشيعة فكان يحضرهُ اليهِ اعنف احضار ثم يردهُ الى اهلهِ حين يطمأن لهُ وفي ذلك العصر لم يكن شيعي علوي يقدر على الجهر في معتقدهِ ولو جهر او عرف لاخذ اخذ عزيز مقتدر

ان المنصور بعد ظفرهِ بابناء الحسن تتبع اشياعهم قتلاً وصلباً وما بالك بعبدالله ابن غطاء وقد عرفهُ انهُ طالبي تم ؟ انهُ بقي مستتراً بعد مقتل ابن عبدالله بن الحسن الى ان ماتهُ منيتهُ وحملت جنازتهُ فلقيها جعفر بن سليمان العباسي امير المدينة فاخذها وصلبها ثلاثة ايام

ان قوماً يبلغ منهم الحقد على العلويين الى ان ياخذ الميت بعد موتهِ فيصلب ثلاثة ايام لجدير بهم ان يتقي العلويون بأسهم

اخفى الضغط مساكن الشيعة حيث كانت المصادرة والقتل لهم بالمرصاد فلم يطلقوا من قيد الدولة الاموية حتى منُوا ببأس العباسية وها انا ذا انفرد في المقال تبذة مما وقع عليهم من الاضطهاد والبأس

احمد رضا

احتلال بحر الغزال

٥

واتفق بعد وصولنا الى مشرع الريك بضعة ايام ان جماعة من السود وجدوا فيلاً ميتاً فاكلوا لحمهُ وحملوا نابيهِ الى المشرع يريدون بيعهما وكان اللحم لا يزال عليهما فقال لي احد الضباط لعل هذا الفيل فيلكم الذي رميتموهُ بالامس فسألت الجماعة فقالوا انهم عثروا عليهِ ميتاً في مكان لا يبعد كثيراً عن المكان الذي رميناهُ فيهِ ثم عادوا وقالوا انهم وجدوا حربة مكسورة في بطنهِ ثم انكروا ذلك وادعوا انهُ صيدهم . ورأيت من العبث ان اقف منهم على الحقيقة فحاولت ان افهمهم ان الخلاف ليس بيننا وبينهم بل بيننا وبين الحكومة فاذا كان هذا الفيل صيدنا امكننا ان نشتري النابين منهم بالثمن الذي تتفق عليهِ واذا كان صيدهم اشترتهما الحكومة ولم نستطع نحن ان نشتريهما ثم رأى الكباشي بلتوى ان لا ادلة عندنا تثبت ان الفيل فيلنا فاشترى النابين للحكومة ودفع الثمن خرزاً ونحاساً ونسجة وكان وزنهما ١٨٠ ليبرة وثمنهما في ام درمان نحو ٩٠ جنيهاً

فصل الجفاف وكثرة الصيد والضياع

وكان فصل الجفاف قد بلغ اشدهُ ونحن في شهر فبراير فنضبت المياه في الآبار والغيران

والمستنقعات الصغيرة وصارت الحيوانات تأتي الى الانهار لترد الماء فكثر الصيد في مشرع الريك وكانت الياتل تختلط بالحمير وهي ترعى خارج المعسكر فكنا نصيدها على اهون سبيل وهي آمنة . ودخل مرة قطيع منها الى جزيرة متصلة بالبر فرميت اربعة منها قبل ان وجدت منفذاً تخرج منهُ وكان وزن الكبير منها مئة اقة . وكنت مرة مع احد الضباط نرمي ثيتلاً اصابهُ الرصاص في احدى قوائمهِ وكان من النوع المعروف بالدمدم فحسبنا سحقناً وفرّ الثيتل ولم نقف لهُ على اثر وظننّا انهُ لا يعود الى تلك الناحية مهما بلغ منهُ العطش ولا يُرى وجههُ لاحد من البيض لكن لم يمضِ على ذلك شهر حتى رأيناهُ مقبلاً الى المشرع وهو يجمع في مشيهِ ووراءهُ اثنتان من زوجاتهِ وكانت الحمير ترعى خارج المعسكر فدخل بينها فرميتهُ فسقط واذا هو الثيتل الذي جرحناهُ بالامس وكان عظمهُ قد جبر وساقهُ قد قصرت لقلة الاستعمال

وكثرت الضباع حولنا فكانت تقتحم المعسكر ليلاً وتأكل ما تعثر عليهِ وقد اكلت مرة حبلاً من الجلد وعظاماً جافّة ودرقة من جلد الجاموس اختطفتها من خيمتي . ولا ادري ايها اكثر عدداً واشد وقاحة واكلب على الجوع الضباع كسلا ام ضباع مشرع الريك . وقد كان لضباع كسلا نادٍ قرب منازلنا تجتمع فيهِ معظم الليالي وتحرمنا لذة النوم لا سيما اذا عثرت على بعض العظام واشتد اللجاج والنزاع بينها بسببها

والضبع في السودان نوعان الضبع المخططة وهي عرفاء ومثل الضبع الاسيوية تماماً والضبع الرقطاء وهي اكبر جثة ولا عُرف لها وكناها على جانب عظيم من الجبن

حفر الآبار

وطلب مني البكباشي بلنوى ان اتعهد الآبار التي بين مشرع الريك والتونج وانزحها حيناً بعد آخر واحفر آباراً جديدة في بعض الاماكن فكنت استصحب معي كل مرة جماعة من العساكر واغيب بضعة ايام واعود الى المعسكر ولم يكن فيهِ من المرضى ما يوجب بقائي فيهِ دائماً . ونزلت مرة على بئر وكان هناك رجل من السود معهُ قطيع من الغنم فقلت لهُ بعني خروفاً فقال انا فقير لا املك شيئاً قلت لي من هذه الخرفان اذاً قال هي لرجل ذهب في حاجة وقد تركها هنا فقلت هل لك ان تسير معنا وتدلنا على البركة التي امامنا وتأخذ اجرتك فالتفت الى قطيع الغنم وقال لا اقدر ان اترك غنمي واسير معكم ثم انتبه لنفسهِ وضحك فقلت اما ان تبيعنا خروفاً أو تسير معنا ففضل السير معنا واوصى امرأتهُ بخرفانهِ في غيابهِ

واسرينا تلك الليلة حتى وصلنا الى بركة الماء وهي في مكان يقال لهُ مركوك فاخذت احفر بئراً في مكان غير بعيد عنها وكان الماء في البركة قليلاً جداً والغنم والماشية ترده كل

يوم واقرب ماء بعده ببعد نحو خمسة عشر ميلاً فخفت ان يجف الماء في البركة قبل الانتهاء من حفر البئر فقلت لكبير القوم النازلين هناك وكان شيخاً هرماً كم يكفيكم الماء الذي في البركة قال يومين او ثلاثة قلت ماذا تفعلون بعد ذلك قال نرحل الى مكان آخر قلت هذا الماء يكفي العساكر الذين معي اكثر من اسبوعين ونحن نحفر بئراً لنستقي منها وتستقوا انتم السنة كلها فخيرا لو ارتحلتم الآن وتركتم الماء لنا وحدنا فانكم راحلون لا محالة بعد ثلاثة ايام على الاكثر. قال الماء لنا ولاجدادنا من قبل ولا نتركهُ . قلت نحن لا نتازعكم ملككم قال بلى ويظهر لي انكم لا تختلفون عن النخاسين الذين كانوا يغزون بلادنا قبلكم قلت نحن في بلادكم منذ ثلاثة اشهر ولم يعتدِ احد منا عليكم وقد جئنا الى هذه البلاد لاصلاح حالكم ورفع الظلم عنكم ومنع الغزو بينكم فلا يقتل بعضكم بعضاً الا ترى فرقاً بيننا وبين النخاسين . قال نحن في غنىً عنكم وعن اصلاحكم المزعوم فقد عشنا في هذه البلاد التي عاش فيها اجدادنا قبلنا وهم يغزون بعضهم بعضاً ويقتلون فاتركونا وشأننا ولا رغبة لنا فيكم . ثم اخذ يرتعش وقال اتعلم ان طربوشك الاحمر هذا مصبوغ بدم اولادي . فقلت في نفسي من يدري المصائب التي توالت على هذا الرجل وهو مقيم في هذا المكان على طريق القوافل بين مشرع الريك وداخل البلاد فاخذت الاطفهُ واعزيهِ حتى اقنعتهُ اننا لم نأتِ للقتل والنهب وقلت لهُ ان الماء لهُ فاذا شاء بقي واذا شاء ارتحل واتفقنا انهُ يرتحل بقومهِ وغنمهِ وماشيتهِ في اليوم التالي بعد ورود الماء

مرض الأينهُم

ومرَّ بنا ونحن هناك احد المهاجرين الذين قدموا معنا من ام درمان وكان معهُ رجلان فلما رآني قال كنت مسافراً الى مشرع الريك لاريك ابن عمي هذا واظنهُ مصاباً بالجذام وقد جئت بهذا الخروف هدية اليك قلت انت احق مني بالهدية لانك قد اريتني مرضاً لم ارهُ قبلاً

وكان الرجل مصاباً بداء خاص بالسود يقال لهُ « الأينهُم » ولم ارهُ الاَّ في هذا الرجل وفي رجل آخر في كسلا وهو اختناق في اصابع القدم واكثر ما يصيب الخنصر في قدم واحدة او في القدمين معاً ثم تسقط الاصبع بعد زمن ويعقبهُ اختناق وسقوط في اصبع اخرى وربما امتد الى المشط وسائر اجزاء القدم . وهو شبيه جدًّا بالجذام لكنهُ على الراجح داءٌ آخر ولا تزال اسبابهُ مجهولة . وقد روى الدكتور ده برن من اساتذة المدرسة الطبية الفرنسوية في بيروت انهُ رأى اصابتين بهِ في المستوصف الفرنسوي في بيروت وهي اول مرة عثر عليهِ بين البيض في ما اعلم

الذباب والامراض التي ينقلها

ذكرت في رسالة سابقة انهُ كان معنا عند وصولنا الى بحر الغزال سبعة وثمانون حماراً وسبعة بغال وحصان واحد . اما الحصان فمات بعد وصولنا ببضعة ايام ثم اخذت الحمير تموت الواحد بعد الآخر حتى فنيت كلها قبل مضي ستة اشهر وسبب موتها داء يصيب الحيوانات في تلك البلاد يقال لهُ مرض البهائم وهو حقيقة اكثر من داء واحد سببهُ احياء صغيرة شبيهة بالاحياء التي تسبب داء النوم في الانسان . وهذه الامراض ليست خاصة ببحر الغزال بل منتشرة في اكثر انحاء السودان وفي جنوب افريقية وفي الجزائر حيث تصاب الابل بمرض يقال لهُ داء الذباب ولا يزال بعض هذه الامراض غامضاً والحكومة مهتمة بها اهتماماً كبيراً

وتسمى الاحياء التي تسببها تريبانوسوما اي الثاقبة الجسم فداء النوم سببهُ نوعٌ منها وينقلهُ نوع من الذباب يعرف بذباب داء النوم[1] . ولم نعثر عليهِ مدة اقامتنا هناك على انهُ عُثر عليهِ بعد ذلك في بعض انحاء بحر الغزال وحدثت اصابات بداء النوم في الجهات الغربية والجنوبية منهُ

وهناك نوع آخر من الذباب يعرف بذباب مرض البهائم[2] وهو شبيه بذباب داء النوم واكثر منهُ انتشاراً وينقل مرضاً من الامراض التي تصيب الماشية والدواب وربما نقل داء النوم ايضاً

ومنها ذباب يعرف بالسروت والشعراء[3] وهو انواع كثيرة لسعهُ مؤلم جداً وينقل بعض الامراض الى الابل والدواب

في عرين الاسد

وتركت الجنود في مركوك يحفرون البئر وعدت الى المشرع وكنت اتقدمهم حيناً بعد آخر واتفق مرة وانا هناك ان البكباشي شمس مرَّ بي في طريقهِ الى المشرع فقال ما لي اراك هنا قلت احفر بئراً قال هل وجدت ماء قلت لا قال دع البئر وشأنها وعد معي الى المشرع قلت هذا ما اقتناهُ وجلسنا نتحدث فقلت لهُ هل صدت الفيل في هذه الرحلة قال لا قلت هل لقيت الاسد قال نعم وقد قتلت لبوة وهاك جلدها على الحمار ثم اخذ يقص عليَّ كيف اصطادها فقال : « اقمت بضعة ايام في واو وكانت الاسود تزأر كل ليلة وقت العشاء على مقربة منا والنهر بيننا وبينها فعبرتُ النهر يوماً وصنعت عرزالاً في شجرة هناك وكنت اذهب كل يوم

(١) Tabanus (٢) Glossina morsitans (٣) Glossina palpalis

فهو الغروب وارتبط جدياً بجذع الشجرة واجلس في الغرزال الى منتصف الليل فلم أكن اسمع الاَّ ثغاء الجدي وزئير الاسود وهي لا تخرج من الاجمة لافتراسه فعدلت عن هذه الطريقة وتركت جماعة يترصدون الاسود نهاراً فجاءوا مرة واخبروني ان لبوة صادت بقرة وحشية من النوع المعروف بابي عُرف وحملتها الى الاجمة وكانت الاجمة كثيفة مشتبكة لا يمكن الدخول اليها الاَّ من مكان ضيق جداً وهو المكان الذي دخلت منهُ اللبوة فدخلت منهُ زحفاً على بطني ولم أكد ادخل حتى خرج اسدٌ من ورائي لكنني لم ارهُ بل رآهُ الرجال الواقفون خارج الاجمة ولم ازل اتقدم حتى وصلت الى وسط الاجمة واذا اللبوة فوق فريستها فلما رأتني زمجرت ووثبت عليَّ وثبة واحدة ولم تكن المسافة بيننا اكثر من خمس عشرة قدماً فرميتها بالرصاص قبل ان تصل اليَّ فسقطت امامي فهززتها برأس البندقية وكان لم يزل فيها طلقة اخرى فاذا هي ميتة لان الرصاص اصابها في جبهتها . ثم ناديت الجماعة فدخلوا وحملوها خارج الاجمة واخرجوا البقرة الوحيشة واكلوا لحمها وهناك رأسها على الخمار مع جلد اللبوة »

فلما انتهى من كلامهِ قلت لهُ لقد افتحمت الاسد في عرينهِ واستخلصت فريستهُ منهُ وهذا يذكرني باحد امراء العرب وقد هاج الاسد عن فريستهِ فهجم عليهِ الاسد فضربهُ بالسوط . ورويت لهُ حكاية بشر بن عمار وقول المتنبي فيهِ

امعفرّ الليث الموبر بسوطهِ لمن ادّخرت الصارم المصقولا

وترجمت لهُ البيت فاعجبهُ كثيراً وقال الشعر حسن جداً لكن فيهِ شيء من المبالغة ولا اصدق ان هذا الامير الذي تذكرهُ ضرب الاسد بالسوط قلت كان الجيش محيطاً بهِ وانقذهُ منهُ . ثم رويت لهُ بعض ابيات بشر بن ابي عوانة في الاسد . ومنها قولهُ

واطلقت المهنّد من يميني فقدّ لهُ من الاضلاع عشرا

وقلت لهُ ان بشراً قتلهُ بالسيف قال اني اصدق ذلك فان كثيرين من عرب السودان يقاتلون الاسد بالسيف ويقتلونهُ لكن هل ضربهُ صاحبكم بالسيف طولاً او عرضاً حتى قدّ لهُ عشر اضلاع قلت اظن القافية حكمت عليهِ بجعل الاضلاع عشراً

اما عرب السودان فكثيراً ما يقتحمون الاسد بالسيف والدرقة فقط وبعض القبائل من عرب كردوفان لا تزوج الواحدة منهن شاباً ما لم يقتل قيلاً او اسداً او جاموساً بالسيف او بالحربة . ولا ادري اي الحيوانات اشدّ خطراً على الانسان الفيل ام الاسد ام الفراء الجاموس وربما كان الجاموس اشدها فتكاً فالثلاثة الاولى تهرب من الانسان في غالب

الاحيان اما الجاموس فتلّما يهرب واذا رأى انساناً هجم عليهِ حالاً سواء اعتدى عليهِ الانسان او لم يعتد

ثم قصَّ عليَّ حكاية اخرى عن الاسود قال : « كنت سائراً بين واو والتونج فلقيت اسداً وليوة على الطريق امامي فرميت الاسد وجرحتهُ فهجم عليَّ فاطلقت عليهِ رصاصة اخرى اصابتهُ لكنها لم تصدَّهُ عني ولم يكن في بندقيتي رصاصة غيرها وتعذَّر عليَّ ان احشوها لان الاسد كان قد دنا مني كثيراً فوقفت في مكاني لا اتحرك واخذت اقرس فيهِ فوقف ينظر اليَّ وانا جامد في مكاني ثم التفت يمنة ويسرة وتحوَّل عني وسار في سبيلهِ . وكانت اللبوة واقفة تنظر الينا فلما رأت الاسد قد تركني اخذت تزمجر كأنها غضبت منهُ لتركهِ اياي ثم تقدمت اليَّ وكنت لا ازال واقفاً لا اتحرك فلما دنت مني وقفتْ كما وقف الاسد ثم تركتني ومضت »

و بلغني بعد ذلك ان سبارکس باشا طلب منهُ ان لا يروي للضباط قصة دخولهِ عرين الاسد لئلاَّ يقتدوا بهِ و يصاب احدهم بسوء

هذا شيء يسير عن بسالة البكباشي هيس فان نوادرهُ من هذا القبيل كثيرة جدًّا منها عبورهُ نهر الجور سباحة وهو يجرُّ بغلاً وراءهُ والنهر حافل بالتماسيح . وقتلهُ الفيل على عشر خطوات منهُ ووراءهُ فيل آخر يكاد يبلغهُ بخرطومهِ . ووقوفهُ في وجه العدو وحدهُ . لم يرجع خطوة واحدة بل وقف يقاتل حتى سقط في مكانهِ

الشجعان كثيرون لكنني لم الق فيَّ اجتمع فيهِ من حسن الخلق والخُلق ما اجتمع في هذا الشاب فقد كان جميل الطلعة رضيَّ الاخلاق لين العريكة رحب الصدر انيس الخضر عزيز النفس حليماً صبوراً جواداً جريئاً مقداماً . لا اظنهُ اساء الى احد في حياتهِ بل كان كثير الاهتمام براحة الآخرين ومساعدتهم ويؤثر غيرهُ على نفسهِ . مرض الاونباشي ابرهيم الزنكلوني من القسم الطبي سيفي واو واشتدت عليهِ الحمى فقال حبذا لو رأيت امي قبل موتي فعمل لهُ كرسيًّا وجاء باثني عشر رجلاً حملوهُ ثلاثة عشر يوماً من واو الى مشرع الريك لكنهُ توفي هناك قبل ان يركب الباخرة فسار في جنازتهِ هو وسبارکس باشا وسائر الضباط

هذه بعض الاخلاق التي جبل عليها . لكن صفاتهُ المكتسبة لم تكن اقل منها فقد كان طبيباً حاذقاً وجرَّاحاً ماهراً وكان يحسن نظم الشعر والتمثيل والركوب والرماية والسباحة ولعب الكرة والصولجان وغيرها من الالعاب الرياضية التي تعدُّ من محاسن الشباب

لست خائفاً ان ينسب اليَّ القراء بعض المبالغة في تعداد مناقب هذا الشاب لكنني اخشى ان يتهمني الذين عرفوهُ بالتقصير لا بالافراط ولطالما حدثتني نفسي ان اكتب شيئاً عنهُ اعترافاً بفضلهِ فاذا كتبت الآن اكون قد قمت ببعض ما يجب عليَّ . بقي ان اذكر امراً واحداً اخبرني بهِ صديق حضر وفاتهُ وهو انهُ فاه بكلمات قبل موته لا ادري هل بلغت مسامع من يجب ان تبلغها فاذا كانت قد بلغتها فلا اقل من ان ترثيهُ بقول بثينة في جميل

وانَّ سلوتي عن جميل لساعةٌ من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمرٍ اذا متَّ بأساء الحياة وليبها

بانها لن تلق مثلهُ

الدكتور امين المعلوف

اعاظم رجال العصر

اقترح صاحب مجلة ستراند على جماعة من مشاهير الكتاب واهل النقد ان يكتب لهُ كلٌّ منهم اسماء الذين يظنهم اعظم رجال هذا العصر واطلع بعضهم على اجوبة البعض الآخر. فكتب الشريف جمس لوذر رئيس مجلس النواب الانكليزي الاسماء التالية

لورد لستر	(انكليزي)	الامبراطور وغلم	(الماني)
الاستاذ متشنيكوف	(روسي)	المستر اديصن	(اميركي)
لورد كتشنر	(انكليزي)	رتشرد ستروس	(نمسوي)
لورد روزبري	(انكليزي)	الاستاذ هيكل	(الماني)
المستر تشمبرلين	(انكليزي)	المستر توماس هاردي	(انكليزي)
المستر روزفلت	(اميركي)	ازئيس دياز	(مكسيكي)
لورد روبرتس	(انكليزي)	المستر سرجنت	انكليزي)
السنيور مركوني	(ايطالي)	لورد ربلي	(انكليزي)
رديرد كبلنغ	(انكليزي)	امبراطور النمسا	(نمسوي)

وكتب السر فردرك ملر من اعضاء مجلس النواب الاسماء التالية

جوزف تشمبرلين	(انكليزي)	المستر روزفلت	(اميركي)
لورد كتشنر	(انكليزي)	لويس بوثا	(ترنسفالي)
لورد روبرتس	(انكليزي)	لورد روزبري	(انكليزي)